الأنبا مرقص

الأمن ...والنساء....والثروة

14

يقدم الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة وتوابعها على أنه المتحدث الرسمى باسم الكنيسة،لكن هذا ليس أخطر ما يقوم به،فهو يحكم قبضته على أبراشية شبرا الخيمة، ويتردد أنه على علاقة قوية بأمن الدولة،لم ينكر ذلك،وفى لقاء معه أكد لى على ذلك وقال: إن هذه العلاقة الجيدة مع الأمن مكنته من حل مشكلات كثيرة،فعندما يكون هناك تنسيق بين الأمن والكنيسة تذوب مشاكل كثيرة ولا يكون هناك حاجة للتصعيد الذى يراه البعض بلا مبرر على الإطلاق.

تقاطعت مع الأنبا مرقص فى واقعتين،فى كل مرة كنت أكتب وأنشر وعلى الفور كنت أجده يتصل من أجل أن يتحدث، وليس على هنا إلا أن أثبت ما جرى.

الواقعة الأولى:

انتهى الاحتفال بمولد العذراء الذي يقام في كنيسة العذراء الأثرية بمسطرد.. الخبر ليس جديداً.. لكنه يفتح الباب للحديث عن صفقات وشكاوي عديدة وصلت إلى مكتب البابا شنودة شخصياً.. وكالعادة.. يتكرر المولد كل عام.. وتتكرر الصفقات كل عام.. ولا أحد يلتفت ولن أقول مجرد يتحرك.

يشكو أقباط منطقة مسطرد من أن مولد العذراء الذي يتعدي دخله مليون جنيه سنوياً من التبرعات والنذور تقع فيه مخالفات أخلاقية لا تليق لا بالكنيسة ولا بالاسم الذي تحمله.. حاول عدد كبير من الأقباط أن يقتصر الاحتفال على الزيارة فقط مثلما يحدث في مولد العذراء بالزيتون.. حيث يكون المشهد هناك راقياً.. لكن مشهد مسطرد لا يعرف سوى دخان المخدرات الذي يتطاير حول أسوار الكنيسة.. ومظاهر الدعارة الواضحة والمستترة.. لكن الكنيسة رفضت هذا التصور.. وصلت اقتراحات به إلى مكتب البابا والمجلس الملي والأمن أيضاً.. لكن الجميع وقفوا مكتوفي الأيدي.. فعلى ما يبدو أن المكاسب التي يحققها المولد تجب ماعداها.. حتى لو كان ماعداها هذا صورة الكنيسة وقداسة السيدة العذراء.

أعرف أن كلام الأقباط ومطالبتهم بأن يقتصر مولد العذراء بمسطرد على الزيارات فقط ليس إلا أذاناً في مالطة ولذلك فالأيام وحدها كفيلة بتحقيقه.. لكن الأهم من ذلك كله أن الملايين الكثيرة التي تدخل هذه الكنيسة تضيع مع الرياح ولا يستفيد بها أحد سوى القابضين على أمور الكنيسة من رجال الدين ومن معهم.. فلم تكتف الكنيسة بالسكوت على ما يحدث في المولد فقط.. بل إن الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة الذي ينوب عن البابا شنودة في إدارة كنيسة مسطرد يسمح لسكرتيرته «لوليتا» بأن تصحبه لحضور المولد ليس لمساعدته فقط ولكن من أجل أن تتابع مكاسبها من المعارض التي تقيمها خلال أيام الاحتفال..

ولن نلتفت الآن إلى أن لوليتا هذه دخلت الكنيسة دون أن يكون لديها شيء من متاع الدنيا.. والآن فإن ممتلكاتها لا تعد ومكاسبها لا تحصى.

المنطقي أن مكاسب الكنيسة وعائدها يصبان في مصلحتها.. لكن شيئاً من هذا لم يحدث.. وقد وصلت إلى مكتب البابا شنودة شكوي موقعة من عدد كبير جداً من الأقباط تكشف أن الشعب في مسطرد الذي يصل إلي ٢٠٠٠ فرد وبأجياله المختلفة عانى أشد المعاناة منذ الستينيات وحتى الثمانينيات من كاهن الكنيسة السابق وذلك بسبب عدم وجود خدمة أو رعاية.. لم يكن هناك سوى القداسات فقط، وضع البابا شنودة الكنيسة تحت تبعيته المباشرة.. وتوقع الأقباط إصلاح ما جري.. لكن ظلت الأوضاع على ما هي عليه منذ عشرين عاما.

الحال الآن هو

لا يوجد في الكنيسة لجنة للرعاية والاهتمام بشؤون الأقباط.. لا يوجد افتقاد منتظم بالكنيسة وخاصة أخوة الرب كما أن الخدمة الموجودة تحتاج لتطوير وإضافة خدمات أخرى، لا يوجد أي تطوير أو اهتمام بالتطوير من أي نوع من الإنشاءات والمباني الخدمية.

وعلى سبيل المثال فدورات المياه غير آدمية بالمرة وقاعة المناسبات وفصول مدارس الأحد وكل المباني الملحقة بالكنيسة تحتاج إلى ترميم وتطوير.. وتحتاج الكنيسة للتوسع في الإنشاءات الخدمية، لا توجد حسابات منتظمة للكنيسة.. الكنيسة لها كاهن واحد فقط طيلة العشرين عاماً الماضية رغم أن الكنائس المماثلة لها أربعة كهنة على الأقل.. ثم إن الكاهن لكثرة انشغاله بتأليف وبيع الكتب والمحاضرات والأعمال الأخرى، فهو غير متفرغ للخدمة والكنيسة وحتى القداسات.. ووصل به الأمر أنه في الصوم الكبير ذات مرة قام أكثر من كاهن من الخارج بالصلاة خلال فترة الصوم.. ولم يقم هو بالصلاة إلا نادرا.

يطالب أقباط مسطرد بالعدل قبل الرحمة.. بأن تشكل لجنة خاصة بالكنيسة وأن

يتم ترسيم كهنة جدد سواء بالترسيم ممن يصلحون من شعب الكنيسة أو من خارجها.. لكن هل يمكن أن يتم هذا بسهولة.. لقد وصلت نسخة من هذه المطالب إلى الأنبا مرقص.. وعقد اجتماعاً مع من حملوها إليه وبخط يده أشار إلى ما يمكن تنفيذه وما يمكن تأجيله.. لكن ما لم يعرفه الأنبا مرقص أن النسخة التي كان يناقشها لم تكن كاملة فقد حذف منها أبناؤه الأقباط فقرتين.. كان يتم التعرض له شخصياً فيهما.. وهنا لن أحرمه من أن يطلع على ما جاء فيها:

يقول الأقباط موجهين كلامهم للبابا شنودة :«ومع علمنا أن نيافة الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة هو النائب البابوي من قبل قداستكم والذى يجب أن يهتم بشؤونها نيابة عنكم إلا أنه ليس له أي علاقة بالكنيسة سوى بفترة الاحتفال بعيد السيدة العذراء «المولد» فقط وحتى في هذه الأيام يستبعد أي فرد من شعب الكنيسة من المشاركة في خدمة أيام الاحتفال ولا نعلم لماذا؟

أما الفقرة الثانية فتقول: وباقي أيام السنة كلها لا علاقة له بالكنيسة بأي حال سوى مندوب التحصيل للصناديق من طرفه.. ولقد تقدمنا له قداستكم في أكثر من مرة للتدخل ودراسة هذه الأوضاع والعرض على قداستكم واتخاذ الحلول التي تتراءى لقداستكم من تشكيل مجلس للكنيسة «نخبة» أو رسامة عدد من الكهنة الجدد مع الكاهن الحالي يكفون لخدمة هذا الشعب دون جدوى.. ومع هذا فقد قام سيدنا الأنبا مرقص بتاريخ ٢ مارس ٢٠٠٦ برسامة كاهن جديد وهو الأخ سمير ميلاد باسم القس شاروبيم ميلاد على كنيسة تحت التأسيس ، وهي «السمائيين» بشبرا الخيمة وهو أمر مثبت بمجلة الكرازة ولكنه في الواقع وبطريقة غير مباشرة رسم كاهن بكنيسة العذراء بمسطرد وهذا علي غير إرادة الشعب وبدون ترشيح أو تزكية من الشعب ، وتعارض مع مبدأ قداستكم فيَ أنه من حق الشعب في اختيار راعيه.

لم يقرأ الأنبا مرقص هذه الفقرات.. لكن كل ما فعله أنه كان يأخذ الشكاوي

التي يرسلها الأقباط إلى مكتب البابا ضد كاهن مسطرد ، ويسلمها له يداً بيد، ويقول له: سيبهم يتحركوا زي ما هم عايزين.. لن يفعلوا شيئاً في النهاية، الأزمة الآن أن هناك شعبا يري أن أمواله تهدر.. وقيادة كنيسته لا تريد أن تسمع.. لكن يبدو أن هناك إزعاجًا قادماً خاصة أن بعض الأجهزة الرقابية بدأت تفتش وراء ممتلكات وثروات بعض الكهنة والقساوسة من رجال الأنبا مرقص،. فالمفروض أنهم لا يملكون شيئاً.. يأخذون من الكنيسة ما يقيم لهم وعليهم حياتهم ،. لكن بعضهم لا يخضع لهذه القاعدة.

المثال الصارخ علي ذلك هو القس عبد المسيح بسيط كاهن مسطرد والذي يضيق به شعبه.. لقد بدأ حياته مدرساً للغة الإنجليزية،. وبعد أن أصبح قسا تغيرت حياته.. دخل هذا العمل منذ عشرين عاماً فقط ومع ذلك فله ٤٠ كتاباً بمعدل كتابين كل عام .. وهي تجارة يبدو أنها رابحة جداً لأنه لم يتوقف عنها بل يجتهد في الترويج لها من خلال تصدير نفسه المدافع الأول عن البابا ورجاله.. وهو ما يكسبه ثقة في الشارع القبطي تجعل الأقباط يقبلون عليه.. يمكن أن يجعل دخل هذه الكتب من عبدالمسيح بسيط رجلاً ثرياً.. لكن هناك بعض الأسئلة التي يجب ألا يتهرب منها القس المشهور وهي أسئلة إن سمح لي تتعلق بثروته وممتلكاته.

فهل صحيح أن عبد المسيح بسيط يمتلك عمارة سكنية مكونة من ٧ طوابق.. كل طابق به ٣ شقق بمنطقة القطاوي بشبرا الخيمة.. وهل يمتلك مزرعة بالخانكة.. وهل يملك سلسلة كوافيرات حريمي باسم زوجته.. وهل لديه محلان تمليكا حصل عليهما من مجلس مدينة شبرا الخيمة.. وهل يمتلك ورشة نجارة بجوار بهتيم في عمارة أخرى يملكها هناك.. وهل يمتلك عمارة ثالثة بشارع مخزن الأنابيب.. إنني أسوق هذه المعلومات التي وردت في بعض التقارير الرسمية في صورة أسئلة.. لأنها تتردد بقوة في بيوت أقباط شبرا ويريدون إجابة عليها.. من كاهنهم الذي كان قبل سنوات قليلة مواطناً عادياً.. إن هذه التساؤلات سنفتح بها

وتفتح لنا ملفات عديدة.

***

كانت شعلة الغضب ممتدة بيني وبين رجال مطرانية شبرا وتوابعها.. كان لديهم اعتقاد بأن دخول كنيستهم والتفتيش في ملفاتها لابد أن يتم من خلال كلامهم وحدهم.. فهم الذين يجب أن يتحدثوا بينما يصمت الآخرون.. ولأنه ليس من عادتي أن أغطي الأمور فأنا أسعي إلى كشفها بل وتعريتها بقسوة.

جلست مع الأنبا مرقس أسقف شبرا الخيمة وتوابعها.. لم يكن الحوار معه وحده.. كان موجوداً على امتداد الحوار القس عبد المسيح بسيط كاهن كنيسة مسطرد الذى كان هامشاً من هوامش الاشتباك، ورمسيس الديري المحامي المستشار القانوني للمطرانية والأب مكسيموس أحد سكرتارية الأنبا مرقس.. ورغم حرارة القضايا التي تناثرت بيننا إلا أن إيقاع الحوار نفسه كان هادئاً.. كان الأنبا مرقس في صدارة المشهد.. لتنساب الكلمات بيني وبينه.

أردت أن أنكشه.. قلت له في البداية.. أمازلت المتحدث الرسمي باسم الكنيسة؟ فقال: في يوليو السنة الماضية كان قداسة البابا في أمريكا.. وحدثت مشكلة ماكس ميشيل.. اتصل بي قداسة البابا وقال لي: اذهب لماكس ميشيل وواجهه في التليفزيون، وحذرني بشدة من مسؤوليتي وخطورة دوري.. كنت في هذا الموقف فقط أمثل البابا.. لكن الصحافة اعتقدت بذلك أنني المتحدث الرسمي باسم الكنيسة وتمادت في الأمر.. وبدأت وسائل الإعلام تستحلي الحكاية.. لكن عندما كان يتحدث معي أحد ويسألني.. كنت أقول له: أنا أسقف شبرا فقط، لكنهم وضعوا كلاماً علي لساني لم أقله.. مثلاً في عيد الغطاس قالوا: إن الأنبا مرقس صرح بأن عدد المسيحيين في مصر من ١٥ إلى ١٨ مليوناً وأن البلد بلد قبطي.. بدأت الصحافة تتعامل بأن المتحدث الرسمي باسم الكنيسة هو الذي قال ذلك.. اتصلت بمن كتب ذلك وطلبت منه أن يصلحه لكنه لم يفعل.

ولماذا لم تصدر بياناً رسمياً يكذب ما نشر وينتهي الأمر؟

كان هذا هو التصرف الطبيعي ولذلك وضعته أمام الأنبا مرقس لكنه قال: فعلت ذلك وأصدرت بياناً رسمياً نفيت فيه كل ما قيل على لساني كذباً.. لكن الصحف لم تتراجع ولم يصححوا وتصور أنني كنت في فترة الصوم الكبير وأعلنت أنني معتكف.. اتصل بي صديقي فقلت له إنني صائم عن الإعلام وعن كل شيء خارج الكنيسة،. فوجدته يكتب أن الأنبا مرقس معتكف.. فهل هذا اعتكاف سياسي أم ديني.. وبسبب هذه اللخبطة طلبت من البابا بشكل رسمي أن أبتعد عن الصحافة والإعلام تماماً فوافق.. واكتفيت بعملي في الكنيسة وهو أن أعلم أبناءها كيف يصبحوا بتوع إعلام وكيف يستعملوا التكنولوجيا في الإعلام.. فهذه مهنتي.. وهو بالفعل ما نقوم به في الكنيسة.

كان هذا كلام الأنبا مرقس.. لكن هناك كلاماً آخر.. فقد التقي في كنيسته بوفد من جبهة العلمانيين وكان ودوداً معهم وموافقاً على بعض ما قالوه ولذلك فقد غضبت الكنيسة عليه وأبعدته عن منصب المتحدث الرسمي، قلت له: هل حدث شيء من هذا؟.. فقال لا.. لا لم يحدث.. أنا نسقت مع الأنبا موسى وقلت له: إن العلمانيين في النهاية أبناؤنا ، ولابد أن نحتضنهم ، ونسمع لما يريدون، اتصل بي هاني لبيب، وقال لي: ما رأيك كمال زاخر يريد أن يتحدث معك؟ فكان ردي عليه: أهلاً وسهلاً.. ولما تقابلنا قلت لهم لديكم بعض الأخطاء، فعنوان المؤتمر نفسه خطأ وأن تقولوا: إصلاح الكنيسة فهذا معناه أن الكنيسة فاسدة، ثم إن توقيت المؤتمر الذي كان في ١٤ نوفمبر عيد قداسة البابا خطأ أيضاً.. لأنكم بذلك لا تريدون أن يذهب إليكم كنسيون محبون للكنيسة لأنهم سيكونون في احتفالهم بالبابا.

هذه هي المناقشة التي تمت وقلت لهم: اجتمعوا وحددوا أفكاركم وسوف آخذها منكم وأوعدكم بعمل لجنة مجمعية متخصصة في شؤون الكنيسة.. وهذه اللجنة ستدرس ما تريدون وستكون من ٢٠ إلى ٣٠ أسقفًا.. وبعد الدراسة سنرفع

توصياتنا إلى المجمع المقدس برئاسة البابا شنودة، وهذا ما قلته بالحرف.. وكان ردهم عليّ غير واضح ب آه أو لا.. وكانوا هم قد جهزوا كل شيء.. وكأن ما قلته لهم كان للعلم والمعرفة ليس إلا، فوجئت بعد ذلك بمن يقول إن الأنبا مرقس يوافق على ما قاله العلمانيون.. وقد يكون ذلك بسبب أن العلمانيين قالوا: إنهم جلسوا معي وتفاهمنا.. رغم أنهم لم يذكروا بأمانة ما دار بيننا.. فلماذا لم يقولوا مثلاً إني اعترضت علي الاسم والتوقيت ومسمى العلمانيين هذا.. لقد اتفقت مع الأنبا موسي ألا نرفضهم لكن نعلمهم بأن ما يقولونه خطأ.. لكنهم عقدوا مؤتمراً ثانياً وقالوا : إنني سأحضر وكنت وقتها في أمريكا.. ومن المستحيل أن أحضر مثل هذه المؤتمرات حتى لو كنت موجوداً هنا لأنني غير موافق عليها.

استوقفت الأنبا مرقس قليلاً قلت له بصراحة هناك مجموعة من الأساقفة تحيط بالبابا وتحجب عنه ما جرى.. وعلى سبيل المثال المستشار لبيب حليم يقول إنه أعد لائحة لانتخاب البابا ولا يعرف كيف يوصلها إلى البابا شنودة وأنه لو جلس معه ساعة واحدة فسيقنعه بوجهة نظره.. وشيء من هذا أيضاً يقوله العلمانيون.. فلماذا تمنعون الناس من مقابلة البابا؟

رفض الأنبا مرقس هذا الكلام كله قال: هذا كلام غير صحيح فكل يوم أربعاء يقابل البابا مئات الناس وتصله مئات الشكاوي يضع بعضها في جيبه ليدرسها بنفسه والبعض الآخر مرتبط بالكنائس يعطيه للأنبا يؤانس كي يقرأها ويكتب عنها تقريراً مفصلاً ويقدمه للبابا.. فمن يرد أن يصل إلي البابا يستطع أن يفعل ذلك.. وكل من يريد أن يسلمه شكوي يمكن له ذلك مباشرة ودون وسيط.. لكن ما يحدث أن الناس متخيلة أنه لو حد عايز يقابل البابا فيذهب للأنبا يؤانس ويقوله: عاوز أقابل البابا فيأخذه من يده ويدخله عليه.. وهذا أمر غير واقعي فالبابا رجل عنده مسؤوليات كثيرة والناس يريدون أن يفرضوا مواعيدهم عليه.. كأن يقول شخص مثلاً أنا فاضي الساعة ١٢ يوم الأربعاء.. طيب إذا كان لدى البابا اجتماع مهم فهل يتركه ليقابل هذا الشخص؟!

اقتحمت هذا الاسترسال بشكل مباشر.. سألته.. هل طلب منك أحد بشكل شخصي أن تحدد له ميعاداً مع البابا؟ فقال: لم يحدث.. وأي مجموعة تريد أن تقابله يمكن لها أن تتقدم بطلب وأنا أنسق مع الأنبا يؤانس الذي يعطي فكرة مسبقة للبابا عن الموضوع.. وأقول لهم: اكتبوا ما تريدون في ورقة يوقع عليها أحدكم حتى يكون مسؤولاً عنها وأنا بنفسي أعدكم أن أسلمها بيدي للبابا دون وسيط.. فأنا أجلس أمام البابا في اجتماع الأربعاء ولا نخفي عليه أي سؤال.. فكل شيء يأتي للأنبا يؤانس ونقوم بتصنيفه ونحذف المتكرر.. وأي طلب أو احتياج أو شكوي من كاهن لا يمكن أن نخفيها عن البابا.

قلت له: أنتم لا تخفون شيئاً إذن.. فهل وصل إلي البابا الجدل حول انتخاب البطرك وما يطالب به العلمانيون؟ فقال: سئل البابا في المطار عن رأيه بخصوص اللائحة فرد: لم تأتني اللائحة كي أدرسها لو أحضروها فسأقول رأيي فيها.

قلت له: وما رأيك أنت في هذه اللائحة؟ فقال: هذه أمور لا يدرسها فرد ولكن لجان، وكل لجنة تكون من ٢٠ إلى ٣٠ أسقفاً، وهم أناس لديهم خبرات متنوعة وفي نواح كثيرة.. يقدموا لنا الأوراق وتدرس لجنة مجمعية وتقدم توصيات للمجمع المقدس.. لكن في النهاية لكل مقام مقال والبابا يمر بوعكة صحية ثم يأتي من يقول: من هو بديل البابا فهذا لا يصح ونحن ناس شرقيون ولا نعتبر البابا رئيس الكنيسة فقط ولكنه أبونا.. فتخيل لما واحد أبوه يصاب بأنفلونزا فيسأله أحدهم.. من سيكون بديل أبيك؟ يا نهار أسود.. يا راجل حرام عليك ادع له أن يشفيه الله.. نحن أولاد البابا شنودة نرفض هذا الكلام، البابا يجلس على كرسيه منذ ٣٦ عاماً ومنا من ولد وتعلم وتزوج وأنجب وهو موجود.. فالأمر إذن لا يليق.

قد يكون كلام الأنبا مرقس منطقياً من الجانب العاطفي ولذلك قلت له.. ما تقوله قد يكون معقولاً لو كان البابا شنودة شخصاً عادياً أو عابراً.. لكنه يرأس مؤسسة ولها مصالح ولابد أن تدار.. ولا يتمني أحد الشر للبابا .. لكن لابد من نظام يحفظ للكنيسة استقرارها.. مستقبل الكنيسة يهم أبناءها يا أنبا مرقس سواء

كانوا كهنة أو علمانيين؟ وهنا خرجت رؤية الأنبا مرقس فيما يجري قال: اللائحة الموجودة حالياً الحاجة الوحيدة التي يمكن أن نفكر فيها هي تغيير طريقة انتخاب البابا.. لكن اعتقد أن مواصفات اختيار البابا لا تحتاج إلى تعديل.. لكن في النهاية يظل الكلام على التوقيت.. فلو طالبنا بدراسة اللائحة الآن فإن هذا أمر يعز علي البابا ويعز علينا نحن أيضاً.

أخذت الأنبا مرقس إلي ساحة أخرى.. وكان لابد فيها من الصراحة قلت له: كل هذه الخراف الضالة بعيداً عن الكنيسة تجعلني أشعر بأن مجموعة الأساقفة فشلت في احتواء مجموعة العلمانيين،، وفشلت في احتواء مجموعات كبيرة من الأقباط أصبحوا يخرجون أحشاء الكنيسة في الشارع؟

كان الأنبا مرقس صريحاً أيضاً قال: هناك إنسان قد تصل معه لشيء من التفاهم، وهناك إنسان لا تستطيع أن تتفاهم معه لأنه يمشي بكيفه ومزاجه، والأمثلة عديدة، فالسيد المسيح كان معه ١٢ تلميذاً واحد منهم فقط حاول السيد المسيح نفسه أن يصلحه وهو يهوذا، ولم يصلح، فهناك ناس تأخذ منهم وتعطي وهناك واحد مصمم علي اللي في دماغه.. وهناك طباع وإمكانيات، ومش كل الناس نسيج واحد، فنشكر الله إن عندنا ١٢ مليون مسيحي، ويخرج من بينهم ١٠٠ فقط ضالين فنحمد الله علي ذلك ، وبالتالي تكون الكنيسة نجحت في احتواء الرقم المتبقي وهو كبير، ونحن نسمع لهذه المجموعة ولا نرفضها.. لكن هذه المجموعة لا تريد أن تقترب منا.

قلت له: ولماذا لا يريدون الاقتراب.. قد يكون العيب في الكنيسة؟ قال الأنبا مرقس اسألهم: أنت.. وقبل أن أعيد إليه اقتراحه، تدخل عبدالمسيح، بسيط في الحوار قائلاً: إنهم يرون الآتي أن الكهنة بتوع سحر ودجل وشعوذة وأن الأساقفة لا يفهمون.. أحدهم قال: إن الكتاب المقدس مجموعة من القصص والعهد الجديد أقوال ناس جلست مع المسيح وكتبت عنه، وطالبوا بإعادة صياغته ولهذا قلت: إن هذه المطالب تتقارب مع مطالب من ينادون بالشذوذ الجنسي، فهم

يريدون ترتيب الإنجيل علي هواهم.. وكمال زاخر سب البابا شنودة والأنبا بيشوي أكثر من مرة.. فكيف يجلسون مع قداسة البابا وهم يسبونه.

اعتبرت أن هذه الرؤية خاصة ببسيط، فالتفت مرة ثانية إلى الأنبا مرقس أسأله: كيف وصل هؤلاء إلى هذه المرحلة البشعة من وجهة نظرك؟ قال: كل واحد له فكر، وأنا في الكنيسة لو جاء أحد بفكر جيد وجديد، فلماذا لا أنفذه إنني هنا لخدمة الناس.. ولو قلت لي مثلاً نريد أن نعمل برنامجاً لتعليم أبناء الكنيسة كيفية احترام الناس فلن أقول لا، فعمل الأسقف هو خدمة الناس، تعالوا نبني ملجأ لنقضي علي مشكلة أولاد الشوارع، وتخيل لو كل كنبسة أو دار عبادة ، جمعت هؤلاء الأولاد، فهل يمكن أن يكون هناك أولاد شوارع، وقد علمناهم وربيناهم وعودناهم كيفية التعامل مع الناس.

كان هناك جانب آخر للأزمة، فأنا ألمس حالة من فقدان الثقة بين الأقباط وقياداتهم الدينية، قلت للأنبا مرقس: قد تحدث مشكلة في قرية أو حتى مدينة ويقف الأسقف ليقول لشعبه إنه سيتدخل لحل المشكلة، وبعد ذلك يفشل، فلماذا يتصدي لها إذا كان يعرف أنه لن يستطيع.. لماذا يعرض نفسه للحرج؟

فقال: لا يمكن أن أقول فقدان الثقة.. فعندنا واحد من ثلاثة أسابيع ابنته اختفت.. عمرها ١٦ عاماً واسمها نيرمين تعرفت على شاب مسلم اتصلنا بأمن الدولة وهم يتعاونون معنا، وفي حالات كثيرة نعثر على البنات المختفيات دون ضجة، لأن البنت تختفي عادة لأسباب لا علاقة لها بالإسلام، فهي زعلانة أو زهقانة، وفي حالة نيرمين كان الأب قاسياً جداً والبنت لم تتحمل قسوته وزوجة الرجل قالت لنا ذلك.. عندما جاء الأب وعدته بالسعي في الموضوع وأنا واثق أننا سنصل إليها.. لكن هذه الحالات نادرة عندنا عموماً، فالأسقف يجب أن يقول: إنه سيحاول ولا يعد بشكل حاسم حتي لا يتعرض للحرج.

كنت مصراً على حكاية فقدان الثقة هذه.. فرجل الدين المسيحي له قداسة أو

هكذا يجب.. لكن أصبحت هناك جرأة عليهم في نقدهم والتعريض بهم، قلت للأنبا مرقس لماذا فقد رجل الدين المسيحي كثيراً من هيبته ووقاره؟.. قال: لو عندنا ألف وظهر منهم ثلاثة لم يحترموا الكاهن، فنكون بذلك نجحنا في الجزء الباقي، والآن الثقافة تغيرت وأصبحت هناك جرأة علي الكاهن، لكن نسبة الذين يتجرأون قليلة.، والفئة الشاذة لا يمكن أن تكون هي القاعدة، زمان لم يكن أحد يجرؤ على أن يهين رئيس الدولة، لكن انظر الآن إلي ما يكتب عنه، ثم إن الشاذ دائمًا صوته عالٍ.

قلت للأنبا مرقس: هل تقصد بذلك أن شواذ القاعدة هؤلاء سيظلون علي أوضاعهم.. لن تحاولوا التفاهم معهم؟، قال: هناك واحد يأتي منه وواحد أجلس معه وأحاول إصلاح فكره فيوافق، هناك تفاهم، لكن هناك آخر يصر علي ما في رأسه، هاعمله إيه، إنه مثل يهوذا اللي خان، وهذا لا يعني أن المسيح لم يحاول معه، فقد جعله أمين صندوق وهو يعرف أنه سيسرقه، لكنه أعطاه الفرصة كاملة.

نأتي بكم إلي بيت القصيد.. قلت للأنبا مرقس لقد جئت إليك على هامش حالة الحوار التي دارت حول مولد العذراء بمسطرد وقد جلست مع أقباط كثيرين كلهم قالوا إن ما يحدث لا يليق بالكنيسة،وقبل أن أكمل قاطعني وقال: أنا كنت أذهب مع العائلة وأنا صغير إلى مولد مسطرد وكانت مباني الكنيسة كلها مبنية بالطوب اللبن.. كان فيها حمام واحد والباقي في الهواء الطلق، وفي الخارج الشاطئ يتم تأجيره من الحكومة وكانت تقام فيه الخيام، وبين كل خيمة وأخرى خيمة فيها رقص، وخيمة فيها قمار وخيمة قهوة، فكان هناك تنوع الحقيقة،وعندما بدأ قداسة البابا يشرف على هذا الموسم من سنة ١٩٧٨ سيطرنا على ما بداخل الكنيسة،عملنا باباً حديدياً يغلق الساعة العاشرة ليلاً، وكنت تدخل الكنيسة فتجدَ سيدة ترتدي قميص نوم.. وكنت ترى أخرى تحمل وابور جاز وتعمل الأكل في حوش الكنيسة، فمنعنا المبيت في الكنيسة، ثار الناس وطرقوا الأبواب وقالوا : أنتم ناس

كفرة هتمنعونا ليه ناخد البركة من العذرا، بدأ عدد من يطرق الباب يقل، ثم عملنا استثناء ليومين تغلق الكنيسة الساعة الثانية عشرة ويفتح باب الكنيسة الصغير حتي الواحدة ظهراً.. لكن منعنا المبيت بشكل نهائي.

ويكمل الأنبا مرقس ما جرى هناك قال: جاءني شاب ، وقال لي: يرضيك يا سيدنا فيه واحدة بره بترقص وبتقول الرقصة دي للعذرا،والرقصة دي لمار جرجس، فأرسلت أحد الخدام للنظر فيما حدث وكتبت رسالة إلى المحافظ وقلت له هناك أمور لا تليق بالاحتفال الديني، ورجوته أن يلغي أماكن الرقص والقمار ومالا يتناسب مع هيبة الكنيسة، فسألني المحافظ عن بتوع اللب وحمص الشام هل نتركهم فقلت له،إنهم يسترزقون، فأمر المحافظ رئيس الحي بأن يمنع هذه المخالفات وكان هذا منذ ١٥ سنة، ثم إن الحاجة اللي بعيدة عن الكنيسة ليس لي سلطة عليها فهى من سلطة المحافظ، ولا يمكن أن نكون مثل احتفال الزيتون، فهم لا عندهم لب ولا حمص، طبيعة المنطقة عندهم كده، لكن في مسطرد المكان شعبي، فالناس تأتي لتذبح ولا أستطيع أن أمنعهم أن يذبحوا، لأنني لو فعلت ذلك لذبحوني أنا وقالوا: إنني لست مسيحياً، واحدة ندرت خروف للعذرا، لا أستطيع أن أقول لها لا،سيطرتي داخل الكنيسة فقط.. والمولد بالنسبة لأهالي مسطرد موسم كبير ولا نستطيع أن نقف في وجوه الناس لأن هذا صعب جداً، إن ٩٩٪ ممن يحضرون المولد مسلمون يحبون الكنيسة لأنهم يرزقون من ورائها.

ثم ننتقل إلى النقطة الأخري، فكثير من الكلام تردد عن أموال الكنيسة من أين تأتي وإلى أين تذهب؟ قال الأنبا مرقس كل الكنائس لها لجان وكل كنيسة يرأسها كاهن.. والأمور المالية عندنا ماتخرش الميه،لأن كل فلوس الكنائس بتصب في حسابات في البنك.. مفيش مليم يتصرف إلا بشيك، والشيك عشان يتصرف لازم يكون فيه إذن صرف مكتوب فيه الشيك خارج ليه، وهذا نظام معمول به في كل الكنائس بما فيها مسطرد، فمن يصرف لابد أن يقول هو عاوز الفلوس في

إيه،وبعدين اللجنة توقع.. وبعدين في الآخر لابد أن يوقع الأسقف باعتباره الرئيس الأعلى للجنة، وأنا أنسق مصروفات مسطرد مع قداسة البابا فهو رئيسي ورئيس هذه الكنيسة وأنا نائبه عليها ومن خلاله أديرها، وعمر البابا ما بخل علينا بشيء، وعموماً بعد مولد العذرا مباشرة أقوم بعمل تقرير عن حسابات الكنيسة على مدي طول السنة ويرفع بها تقرير للبابا، ولابد أن كاهن الكنيسة يوقع على كل الأوراق، وأنا مستعد أن أعلن ميزانية الكنيسة في الجرائد وأي محاسب يجي يراجع، فعندنا مجموعة تعمل في حسابات الكنائس ولها مدير ولها ٣ كهنة مراجعين، كل يوم ثلاثاء يأتي أبونا الكاهن من ٩ صباحاً وحتى ٢ ظهراً يراجع الحسابات، وهناك مراجع حسابات أيضاً، ولا يوجد مليم بيصرف إلا لازم أوقع عليه، ويكون طلب الصرف موقع أولاً من الكاهن ومن مجلس الكنيسة، وأي واحد يريد أن يطعن فينا مالياً يجي يتفضل يراجع، أنا معنديش مشاكل..

الواقعة الثانية:

لم أكن أريد أن أدخل إلى ساحة هذا الملف المزعج، ليس لأنه غير صحيح، ولكن لأن الناس لا تريد من يوقظها من نومها،أن يلفت انتباهها إلى مواطن الزلل، يريدون أن ينعموا براحتهم إلى الأبد، حتي لو كانت هذه الراحة زائفة ولا شيء حقيقي فيها.

القصة لها أساس كما يقولون، ولم أتردد في كشف بعض جوانبها لأن أحد أطرافها صحفي مثلا، فالجريمة جريمة، ولا يمكن أن نعفي الصحافة من الخطأ إذا وقعت فيه.

هو أسقف كبير من الدائرة الصغيرة التي تحيط بالبابا شنودة، له مكان ومكانة الحظوة عنده، وهو كذلك وجه إعلامي معروف واسمه ليس مهجَورا ولا مجهولا مثل كثير من الأساقفة، لا يكتفي بدوره الروحي فقط، ولكنه يساهم في رفع مستوى شباب الكنيسة علميا وتكنولوجيا،صورته تظلمه كثيرا،فهو يبدو في

الصورة حادا،بل يمكن أن يصلك إحساس بأنه رجل فظ غليظ القلب،لكن عندما تجلس إليه تبدي على الفور إعجابك بتواضعه وملامحه السمحة، فهي ملامح فلاح مصري أصيل علمته الأرض التسامح لأنها تقول له كل صباح أن الأمر كله بيد الله، وتتعجب أكثر: فهل يمكن أن تكون الصورة خادعة إلى هذه الدرجة المفزعة؟

لكن من فضلك انس الصورة تماما وركز مع الأصل،فهو أفضل كثيرا.

الأسقف الكبير ناجح جدا ،وله بصمات عديدة في تطوير الكنيسة، ولأن لكل أسقف ناجح أعداء ومعارضين، فقد عاني هذا الأسقف كثيرا من حزب أعداء النجاح داخل الكنيسة وخارجها أيضا، اتهم أنه مثلا على علاقة بسكرتيرته، رغم أنها زوجة أحد معاونيه، وفي منشورات توزع سرا على بيوت الأقباط تقف وراءها جماعات قبطية تطلق على نفسها جماعات التطهير، اتهام لهذا الأسقف بأنه يمتلك فيللا في مدينة الشروق اشتراها بالطبع من أموال الكنيسة، وهي الفيللا التي يأخذ منها وكرا ،لمتعته وملذاته مع سكرتيرته.

وحتي يكون هناك دليل علي هذا الكلام، فإن أهالي المنطقة التي تقع فيها مطرانية هذا الأسقف يرددون تفاصيل قصة السكرتيرة الفقيرة التي دخلت المطرانية هي وزوجها ،دون أن يكون لديها من متاع الدنيا شيء، لكن وفي سنوات قليلة أصبحت تملك كل شيء،السيارة الفارهة والشقق الفاخرة التي تنتشر في أكثر من مكان،لقد دخلت حياة هذا الأسقف منذ عشر سنوات على الأقل، وهي مدة كافية وكفيلة بأن تحقق فيها وبها كل ما تريد، خاصة أنها كانت تحصل بحكم وضعها وقربها من الأسقف علي ميزات كثيرة، مكنتها من أن تكون ثروة هائلة.

كل هذه كانت اتهامات لم يقدم أصحابها عليها دليلا، ولذلك لم تلتفت إليها الكنيسة، لقد وصلت هذه المنشورات إلى البابا أكثر من مرة، فوصولها إليه ليس صعبا، فالبابا بعد موعظة الأربعاء يتلقي أوراقا ومذكرات وشكاوى عديدة من

شعب الأقباط الذي يحضر الموعظة، صحيح أن هناك أكثر من فلتر يمرر ما يشاء إلى البابا ويحجب عنه ما يريد، لكن البابا أحيانا يأخذ بعض الأوراق بنفسه ويفحصها هو، ويأخذ فيها قرارا.

وفي الغالب فإن المنشورات التي تحمل الاتهامات للأسقف، تم التحقيق فيها، وفي الغالب أيضا أن التحقيقات لم تصل إلى شيء، ووصلت الكنيسة إلى أنها مجرد شائعات ، ولذلك فقد صرفت النظر عنها، بل وعززت موقف ووضع الأسقف وجددت الثقة فيه، وليس غريبا أن يكون قد سافر إلى البابا ، ليطمئن عليه في مقر علاجه في أمريكا ، وليطلعه على بعض الأمور الخاصة بمطرانيته، ثم وهذا هو الأهم يطلعه على أرقام إيرادات بعض الأنشطة الأخيرة التي جرت في بعض الكنائس التابعة لمطرانيته، وهو أمر يحرص البابا شنودة علي أن يتابعه بنفسه، ولا يتخلى عن ذلك حتى لو كان مسافرا أو مريضا، فالسفر والمرض لا يسقطان عن البابا شنودة واجب المتابعة لما يدور في كنيسته.

سارت الأمور في هدوء شديد بالأسقف الذي كان كل يوم يحصل على مساحة جديدة، حتى وقع ما لم يكن يتوقعه مطلقا، لقد كان الحديث عن علاقته بسكرتيرته التي وصلت كما تقول الشائعات والمنشورات إلى أبعد مدي، مجرد كلام في الهواء ولم يصدقه أحد، لكن الأسقف تلقى تهديدا مباشرا من صحفي قبطي،قال له بوضوح . إن لديَّ صورا تجمعه مع سكرتيرته في أوضاع خاصة وساخنة جدا ، وأنه يخيره بين أن ينشرها أو أن يدفع له الأسقف ٢٥٠ ألف جنيه.

كان العرض واضحا، قامت الدنيا ولم تقعد على رأس الأسقف، أكلته الحيرة كيف يتصرف، أجرى اتصالات عديدة مع بعض الصحفيين الذين يغطون أخبار الشأن القبطي في الصحف، ومن بينهم رئيس تحرير، أراد أن يوسطهم لدي هذا الصحفي الذي سيقدم على جريمة ضخمة في حق الكنيسة، فنشر الصور لا يمكن أن يمر بهدوء، بل إنه سيثير فتنة طائفية عارمة، ولا يمكن أن ينسى أحد ما حدث

مع جريدة النبأ عندما نشرت صور راهب دير المحرق برسوم المحرقي عاريا في أحضان بعض السيدات، وهو لا يريد أن يتكرر هذا السيناريو مرة ثانية، خاصة أن شباب الكنيسة لا يمكن أن يصمتوا على مثل هذا الأمر.

كان هناك سؤال مهم وجه للأسقف وهو هل هذه الصور صحيحة؟ فأقسم أنها مفبركة ، ولا أساس لها من الصحة، وأن ما يتعرض له مجرد عملية ابتزاز قبيحة،فقالوا له ولماذا تخاف إذن إذا كانت الصور لا أساس لها من الصحة،فأبدي تخوفه من أن يلصق به وجود مثل هذه الصور حتى ولو كذبا فتصبح سبة في تاريخه لا يستطيع أن يتخلص منها،خاصة أن هذه هي التهمة الوحيدة التي لا تغادر رجل الدين حتي لو تبرأ منها علي الملأ.

لم ينكر الصحفي أن لديه الصور لكنه أصر على أنها صحيحة ، وأنها للأسقف وسكرتيرته معه، وأنها التقطت له بمعرفة أحد المقربين منه، وجرى التفاوض من جديد ووصل المبلغ الذي أبدى الأسقف استعداده ليدفعه إلى ١٧٥ ألف جنيه فقط،وهو ما آثار الريبة والشك في صدور من يقومون بعملية التفاوض، حتى أيقن بعضهم أن الصور يمكن أن تكون صحيحة، وإلا فلماذا كل هذا القلق والاضطراب الذي يبديه الأسقف، ولماذا يلح أن ينتهي الأمر بهذه السرعة، ويحرص أشد الحرص ألا يتسرب شيء حتى لو كان صغيرا عن الموضوع.

وفجأة توقف التفاوض تماما، وسافر الأسقف إلى البابا، وحتى تكتمل الحلقة فقد تردد أن عملية الابتزاز هذه وصلت إلى البابا في أمريكا وأن هناك اتجاها لئلا يعود الأسقف مرة ثانية إلي مصر، وأن يظل هناك في أمريكا حتى لا تطارده الفضيحة، فمن يدري فقد لا تكون هذه الصور الوحيدة الموجودة، وكما تعرض الأسقف للابتزاز هذه المرة ورضخ وقبل بدفع الـ لغ حتى لو لم يكن هو نفس المبلغ المطلوب بل أقل منه قليلا، فإن هناك من سيفعلها مرة ثانية وسيجد الأسقف نفسه مضطرا في كل مرة أن يدفع، وإلا فإن الفضيحة ستحل على رأسه

وستلاحقه لا محالة.. أغلب الظن أن ما قيل عن عدم عودة الأسقف إلى مصر مرة ثانية،أمر روجه الصحفي في الكنيسة،خاصة أنه تعرض لحالة من التضييق الشديدة، فقد وصل الأمر بالأسقف الكبير إلى مطاردة الصحفي في كل مكان، بحث عن الكنيسة التي يتبعها، وكلم المسؤولين عنها، وكانت المفاجأة أن هذا الصحفي كان شماسا يخدم في الكنيسة، ووجه العجب أنه كيف يقدم على هذا الفعل والمفروض أنه مسيحي متدين.

عن نفسي لا أستطيع أن أجزم بشيء، فالصور التي تلعب دور البطولة في هذه القصة، لم يرها أحد ولم يطلع عليها متخصص ليقول لنا: هل هي حقيقية أم أنها مفبركة بعد أن امتدت إليها فنون الكمبيوتر.

إن هناك أكثر من علامة استفهام تحيط بهذه القصة.

لقد تشككت فيها، وكان هناك مصدر مهم بالنسبة لي على الأقل يمكن التأكد منه، أعرف أنه لا يكذب، يتصل بالكنيسة عن قرب ويعرف ما يدور فيها، أرسلت له رسالة قصيرة قلت له:هل صحيح أن الأنبا فلان الفلاني يتعرض لعملية ابتزاز بصور جنسية، وجاءني الرد بعد ساعات قليلة كان نص الرسالة هو: فيما أعلم هذه عملية ابتزاز مادي منذ بضعة أشهر.

وهنا تصبح علامات الاستفهام مقبولة

أولا:إذا كان لصحفي يحمل معه صورا حقيقية للأسقف والسكرتيرة، فلماذا لم يطلب أكثر من ذلك، إن مبلغ الـ ٢٥٠ ألف جنيه مبلغ هزيل، مقابل هذه الصور التي تعتبر ضربة للأسقف الكبير في مقتل، أم أن الصحفي رقيق الحال إلى الدرجة التي يمكن أن يكون هذا المبلغ بالنسبة له كبيرا جدا وكافيا مقابل عملية الابتزاز؟

ثانيا: هل حمل الصحفي هذه الصور إلى جريدته وأراد نشرها فرفضت الجريدة حتى لا تتعرض لما تعرضت له جريدة النبأ من قبل من ملاحقات قانونية، وإغلاق وشطب أصحابها من النقابة، وسجن رئيس تحريرها وموته في السجن وخسائر

عديدة بلا حصر ولا عدد، ولذلك أراد الصحفي أن يستغل الكنز الذي معه فذهب ليبتز الأسقف مباشرة؟

ثالثا: ما الذي يجعل الصحفي يخاطر كل هذه المخاطرة ليس بمستقبله المهني فقط فهذا أمر هين ولكن بوجوده في المجتمع القبطي فلو فعلها، وحتى لو كان معه الحق ،فالكنيسة لن تتركه ، بل ستعصف به عصفا ويلا رحمة،قد تكون مخاطرته محسوبة ومدعومة بأن الصور التي يملكها حقيقية وهو متأكد من المصدر الذي منحه هذه الصور، ولذلك فهو يمكن أن يواجه بها الجميع؟

رابعا: إذا كان الأسقف واثقا من نفسه ومن علاقاته، ومن أنه سليم معافي وصفحته بيضاء ولم يكن في وضع مشين مع أحد لا مع سكرتيرته ،ولا مع غيرها،فما الذي أفزعه كل هذا الفزع، ما الذي جعله يجري على من يعتقد أنهم سينقذونه، ولماذا جرى التفاوض على المبلغ،هل يريد الأسقف أن يغلق هذا الباب بأي طريقة أم أن هناك ما يخاف منه ويخشاه؟

لقد قيل للأسقف الذي يتعرض لعملية ابتزاز ضخمة: إن هذه الصور لا يمكن أن تنشر في أي مكان إلا بموافقة أمن الدولة، فهو ليس بعيدا عن مثل هذه الأمور،وعندما سمع الأسقف ذلك اطمأن واستراح، لأن علاقته بأمن الدولة جيدة جدا بل ممتازة باعترافه هو، لكن هل هذا شيء يبعث على الطمأنينة، أعتقد لا.

إنني أضع هذه الحالة، أمام من يريد أن يحقق ويعرف ما يدور، لقد كشفت جانبا واحدا ولدي أسماء الجميع، وأتعجب فلماذا لم يذهب الأسقف إلى مكتب النائب العام مباشرة ليشكو الصحفي ...أم أن في الأمر شيئا؟

على كل.. القضية لا تزال مفتوحة.

والأسئلة فيها تحتاج إلى إجابات.

وقد جاءت الإجابات سريعة بأكثر مما أتخيل

وأنا في طريقي إلى مطرانية شبرا ، كنت أراجع التقرير الذي أشار إلي السكرتيرات الثلاث اللاتي يعملن في مكتب الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة وتوابعها، وقيل في وصفهن إنهن يرتدين الميني جيب، ويعملن من الساعة التاسعة صباحا وحتي الساعة السادسة مساء، استبعدت أن يكون الخبر صحيحا، فالأنبا مرقص لا يعمل في فندق خمس نجوم، ولا شركة استثمارية حتى يستعين بسكرتيرات الميني جيب، إذ في أي شيء يمكن أن يحتاج إليهن، هل يقمن مثلا بتدعيم الدور الروحي للكنيسة، أم أنهن يمنحن المطرانية حالة من الرومانسية التي تفتقدها؟، كلام فارغ بالطبع لا يمكن أن يردده عاقل.

جلست مع الأنبا مرقص في صالون بجوار مكتبه في المطرانية، سألته أين سكرتيرات الميني جيب؟، فابتسم ساخرا وقال: أنت جئت هنا أكثر من مرة هل رأيت غير الكهنة الذين يقومون بأعمال السكرتارية؟، قلت له: لا.

في مكتب الأنبا مرقص أربعة من الكهنة يتناوبون في خدمة السكرتارية من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، ومن الخامسة حتى التاسعة مساء، ويعاونهم في ذلك موظف شاب، مهمته تحديدا هي تحويل التليفونات وإرسال الفاكسات وتصوير الأوراق اللازمة التي يحتاجها الكهنة.

الكهنة الأربعة هم: القمص أرميا عدلي، وهو في الوقت نفسه وكيل المطرانية، والقمص مكسيموس شحاتة، وهو كاهن كنيسة مارجرجس، والقمص يوسف صابر وهو مسؤول عن الكلية الأكليركية، والقس مكاري قمص تادرس وهو مسؤول في الكنيسة أيضا عن لجنة الشباب.

مهمة سكرتارية الأسقف محددة: تعرض عليهم أمور وشؤون الكنيسة ومشاكلها، هناك مشاكل يستطيعون حلها، يفعلون ذلك على الفور دون الرجوع إلى الأسقف، وما يعجزون عن حله يحيلونه إلى لجان الكنيسة وهي لجان كثيرة جدا، وفي بعض الأحيان تكون المشكلة معقدة إلى درجة كبيرة فيتدخل الأسقف بنفسه.

عن قرب عرفت أن الأنبا مرقص لا يميل إلى تركيز سلطات الكنيسة في يديه، ففي مطرانيته إدارات مختلفة تدير الشؤون المالية والقانونية وغيرها.

سألته: كم موظفة تعمل في المطرانية؟

قال : كتير.. (دون أن يحدد عددهن).

قلت له ومن المسؤو ل عن تعيينهن في المطرانية؟ قال: اللجان المختصة.

قلت له: معني ذلك أنه ليست لك علاقة بتعيين الموظفات؟ قال: لا شأن لي بذلك علي الإطلاق.

قلت له: ألا تشترط أن تجري مقابلة مع الموظفين والموظفات عندك لتأخذ قرارا هل يصلحون للعمل أم لا؟ قال: إطلاقا.

كان لابد بعد ذلك أن أساله السؤال المباشر: لماذا إذن تطاردك كل هذه الشائعات والتي فيها دائما امرأة ؟

لم ينزعج من السؤال وكأنه كان يتوقعه، قال: يمكن لأنني وجه إعلامي ومعروف وأظهر في الإعلام كثيرا، وهناك من لايعجبهم نجاحي فيتقولون علي، ويطلقون علي الشائعات، وكان آخرها أنني تزوجت من امرأة يعلم الجميع أنها متزوجة وقالوا : إنني أجري مكالمات مع سيدات أغازلهن فيها، وأن هناك صوراً غير لائقة خاصة بي، والعقل يقول : إن من لديه شيء فليظهره، إذا كانت هناك مكالمات فليذعها بدلا من هذه الشوشرة، لا يوجد شيء أخشى منه أو أخافه، وأتحدي أن يكون في سجلي شيء أخجل منه، فأنا رجل أعرف ما علي أن أفعله.

كانت نبرة التحدي في كلام الأنبا مرقص واضحة، لكنني قلت له: اسمحي لي إن الكلام على سيدة بعينها ووصل الأمر إلى الكلام بأنك تزوجتها.. واشتريت فيللا في مدينة الشروق من أموال الكنيسة لتقيم معها فيها.. لماذا الكلام عن هذه السيدة تحديدا؟.. ما الذي يربطك بها؟ حتى إنه بمجرد ذكر اسمك تظهر هي في المرآة مباشرة؟

يقول الأنبا مرقص: عن نفسي لا أعرف سببا لذلك فهي خادمة في الكنيسة مثلها مثل أُخريات، قد يكون هناك من يكره ما تقوم به في الكنيسة.. يمكن لأنها من مصر الجديدة مثلا.. لا أعرف.

حرص الأنبا مرقص على عدم ذكر اسم هذه السيدة حفاظا على بيتها وزوجها رجل الأعمال، ثم إنها وكما رأيت بنفسي مكتئبة ومكسورة من الشائعات التي ترددت في الفترة الأخيرة، لكن تظل هذه السيدة لغزاً ليس في حياة الأنبا مرقص فقط ولكن في حياة الكنيسة كلها.

لقد تعرف الأنبا مرقص على هذه السيدة وهي طفلة عمرها ثماني سنوات ، وكان هذا منذ ثلاثين عاما أي أن عمرها الآن ثمانية وثلاثون عاما، قابل أسرتها عند البابا شنودة، كانت البنت الصغيرة تأتي مع أسرتها لزيارة البابا باستمرار، تعرف الأنبا مرقص على أسرتها وتوثقت العلاقة بينهم، وعندما كبرت الفتاة وتخرجت في الجامعة – حصلت علي ليسانس تربية قسم اللغة الفرنسية – عملت في مطرانية شبرا، اختارت المكان الذي يعمل فيه الأنبا مرقص، فهو بالنسبة لها ليس أبا روحيا فقط ولكنه بمكانة الأب الحقيقي، وذلك لعلاقته بأسرتها.

عندما عملت في الكنيسة اختارت أن تكون خادمة فهي لا تتقاضي راتبا وليست لها مواعيد عمل محددة، فهي موجودة في الكنيسة في الأوقات التي يتطلبها العمل الذي تقوم به فقط، ليست موظفة هناك، هي في حقيقة الأمر لا تحتاج إلى راتب الكنيسة فزوجها رجل أعمال كبير، وهي تعتبر عملها خدمة خالصة للكنيسة.

كانت أول من فكر في وضع عظات البابا شنودة على سيديهات ونفذت ذلك، وكان ذلك في منتصف التسعينيات تقريبا، والآن هي مسؤولة عن إنتاج المواد السمعية والبصرية في المطرانية، تنتج قصص أطفال مصورة وغيرها من الأعمال، هو دور إذن ليس صغيرا ويضعها دائما في المقدمة، فهي ليست موظفة في الحسابات أو الإدارة القانونية.

وقد يقتضي عملها أن توجد مع الأنبا مرقص بعض الوقت لتعرض عليه أفكارها والمشروعات التي يمكن أن تقوم بها، فهي تقدم إنتاجاً فكرياً، ولا يمكن أن يمر هذا الإنتاج دون موافقة الأسقف، لكن حتى هذا لا يحدث كثيرا كما قال الأنبا مرقص.

قلت له: لكن هناك من يقول إن هذه 'لسيدة سكرتيرة خاصة لك؟ قال الأنبا مرقص: ليس صحيحا وأنت رأيت من يعملون معي في السكرتارية، وهي خادمة في الكنيسة لا أكثر مكتبها وسط مكاتب الموظفين ولا توجد لها أي ميزة على الأخريات فكل الموجودات بناتي.

سألته: لكنّ هناك اتهاماً لك بأنك كنت وراء حالة الثراء التي تعيش فيها هي وزوجها، فأنت مثلا تمنحها مساحة كبيرة من الأرض لتقيم عليها معرضاً في مولد العذراء بمسطرد، وأنها تحقق من وراء هذا المعرض الكثير؟ قال: هذا الكلام يتردد بالفعل لكنه ليس صحيحا، لأن من يقوم بتأجير مساحة صغيرة في الكنيسة، هما أسامة فاروق وفيكتور فاروق، ويبيعان فيها بعض المنتجات الفنية، مثل الأفلام والسيديهات التي تحمل الأفلام الدينية والمواعظ وقصص الأطفال، وقد يكون الربط الذي حدث بين هذا المعرض رغم صغره وهذه السيدة أن السيديهات التي تباع هي التي تشرف على إنتاجها، لكنها لا تتاجر ولا تستأجر منا أي قطعة أرض وثروتها من زوجها وحده ونحن لم نقدم لها شيئا أكثر من الأخريات.

وقائع الأمور تحتم أن تصدق الأنبا مرقص، لا يوجد هناك ما يجعله يخفي الحقيقة وهو كما تحدي، من لديه شيء ضده فليظهره، فليذهب به إلى الجهات الأمنية والقضائية ويقدم الدليل على ما يقال ويشاع ويتردد، لكني لا أستطيع أن أستثني الأنبا مرقص من اللوم، إنه قامة كبيرة في الكنيسة، فلماذا يضع نفسه على حافة الشبهات، إن هذه السيدة ورغم المزايا الكثيرة التي فيها، والدور الذي تقدمه

وتقوم به في المطرانية إلا أنها مصدر قلق بالغ، إنها ببساطة يمكن أن تهدد عرش الأنبا مرقص، لا أقصد عرشه المادي وكرسيه الذي يجلس عليه في المطرانية أسقفا لها ولتوابعها، ولكنني أقصد وقبل كل شيء عرشه المعنوي، كراعٍ وأب روحي، إنها وبوجودها في الكنيسة، تضع رتوشا كثيرة على صورته هو ليس في حاجة لها، ولن يكون كافيا أن الناس ستنسى أو أن الصحف ستتحدث لمدة أسبوعين وينقضي الأمر.

ليس أمامك يا أنبا مرقص إلا أن تثبت أن هذه السيدة مثلها مثل غيرها من الموظفات في المطرانية، لماذا لا تستغني عنها حتى تنزع مسمار جحا الذي يدقه مطلقو الشائعات في بيتك، وعلى جدار مطرانيتك، أعرف أن فيما أقوله قسوة بالغة، لكن الحياة تحتاج منا في بعض الأحيان إلى بعض القسوة، لا أقول لك: اطردها من المطرانية، ولكن يمكن أن تذهب إلى مكان آخر، تخدم فيه بنفس الروح، ووقتها ستقطع أنت لسان الشائعات، وهي ستفوق من حالة الاكتئاب والحزن التي تسيطر عليها بسبب ما يقال.

إن مطرانية شبرا وكما عرفت تقوم بدور اجتماعي هائل في المنطقة، ففي الشهر الواحد مثلا تقوم المطرانية بتجهيز من ٢٠ إلى ٣٠ بنتاً من الفقراء وتزوجهن، كما انها تنفق على أسر كثيرة، وتوفر فرص عمل للشباب، وتقدم دورات في اللغة والكمبيوتر للشباب، كما أن مبني المطرانية الجديد تكلف كثيرا، إنه يبني وكأنه فندق، أي أن العمل يقوم هناك على قدم وساق فلا داعي إذن لأن يهال التراب على كل ذلك بمسألة تافهة مثل هذه يا نيافة الأنبا مرقص.. وأعتقد أنك معي فيما أقوله.